

## الإمام البنا يتحدث عن شهر رمضان وأحوال الصائمين



الثلاثاء 7 مايو 2019 10:07 م

ها هو السحاب ينقشع، والغيم ينجاب ويتكشّف، والسماء تبسم عن غرة الهلال، كأنما هو قوس النصر أو رمز النور المبين.. إنه هلال رمضان.. الله أكبر الله أكبر، ربي وربك الله، هلال خير ورشد، إن شاء الله..

إنه هلال رمضان؛ شهر الأمة، وشهر الصوم، وشهر القرآن، وشهر المعاني السامية التي تفيض على قلوب من عرفوا حقيقة رمضان، واتصلوا بالملأ الأعلى فيه، وسَمَت أرواحهم إلى مرتبة الفهم عن الله، وما لنا لا نتحدث إلى إخواننا الكرام من بدء الإسلام عن شهر رمضان، وتُطلعهم بخطر النفس وخلجات الفكر، وهو شهر تفكره إضافة عميقة.

ربي وربك الله.. ربه الله؛ لأنه واحد، ورب واحد يتصرف في ملكوت السماوات والأرض، وبسيط على عوالم الغيب والشهادة، ويتحكّم في الكون من أقصاه إلى أقصاه، والجميع بعد ذلك في حق الوجود سواءً.. ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: 93).

إن الله هو الحاكم وحده، يحكم الأفلاك، ويحكم الأناس، وبهب لكلّ وجوده وهده؛ فإن كان لأحد أن يتحكّم في الأولى فيغيّر مداراتها، ويغيّد حركاتها؛ فإن له أن يتحكّم في الثانية؛ فيغلّ أيدي الناس، ويتحكم في آجالهم وأرزاقهم، وليس ذلك إلا لله، فإزق بروحك أيها الأخ المسلم، واسمّ بنفسك عن أن تكون عبداً لغير ربك، واعلم أن هذا المعنى مما يلفتك إليه النبي صلى الله عليه وسلم حين يجعل من سنته في تحية الهلال أن يقول: "ربي وربك الله" (المستدرک على الصحيحين للحاكم: 4/317 رقم 7767- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- 1411هـ/ 1990م، وسنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال: 5/504 رقم 3451، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب- تحقيق أحمد شاكر وأخرين- دار إحياء التراث العربي- بيروت).

إنه هلال رمضان، فأما كثير من الناس فلا يفهمون من معناه إلا تجهيز المآكل والمشارب، وتحضير المطاعم والمناعم، وإعداد لوازم السحور والإفطار، وما يقوّي شهية الطعام، وبوقرّ راحة المنام؛ لأن رمضان كريم، وهذا شأن الكرام!!

أما قوم آخرون فشهر رمضان عندهم شهر الراحة من عناء الأعمال، واللهو والتسلية في لياليه الطوال، وتقسيم الأوقات على الزيارات والسهرات؛ فهم في ليلهم بين لهو وسمر، وقئل للوقت في مقاعد القهاوي والبارات، وتنقل بين دور الملاهي "والصالات"، وفي نهارهم يغطّون في نومهم، ويتكاسلون عن عملهم!.

ذان صنفان خسروا شهر رمضان وخسرهم، وهجروهم وهجرهم، وهو حجّة عليهم بين يدي ربهم، وشهيد على تقصيرهم وسوء تقديرهم.

وقوم آخرون صلوا وصاموا، وتعبّدوا وقاموا، وهم لا يعلمون من ذلك إلا أنهم أمروا فامتثلوا، وتعبدوا فعملوا، يرجون الله ويخافون عذابه، وأولئك لهم ثواب صيامهم، وأجر قيامهم، وجزاء أعمالهم إن شاء الله، والحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء.

وبقي بعد كل أولئك جماعة آخرون، أدّوا ما أمرهم الله به من صلاة وصيام وتلاوة وقيام ومسارعة إلى الخيرات وإحسان وصدقات، ولكنهم لم يقفوا عند ظواهر الأعمال؛ بل فهموا عن الله فيها، وعرفوا ما يراد بهم منها، وتعدّدت بصائرهم إلى لباب أسرارها، فعرفوا لرمضان معنى لم يعرفه غيرهم، وفازوا بريح لم يفّر به سواهم، واكتسبوا منه تزكية النفوس وتصفية الأرواح، وأولئك ذؤابة المؤمنين وصفوة العارفين.

فهموا من فريضة الصوم وآداب القيام أنهم سيتركون الطعام والشراب، ويقبّلون المنام، ويحرمون الجسم هذه الثلاثة، وهي مادة حياتها، وقوام نشاطها؛ وإذن فليختف شبح المادة، ولينهزم جيش الشهوات، ولتتعلّب الإنسانية بمعانيها السامية على هذا الجسم الذي احتلها من قديم؛ فعطلّ حواسّها، وكتمّ أنفاسها، وأطفأ نورها، وكبّلها بما زبن لها من زخرف الشهوات وزائف اللذائذ.

استغني عن الطعام، فإذا استغنيت عنه فقد خلعت عن نفسك نير عبوديته، وصيرت حرّاً من مطالبه، خالصاً من قيوده، واستغني عن الشراب، فإذا

استغنيته عنه؛ فقد خلعت عن نفسك نير عبوديته، وصرت حرًّا من مطالبه، خالصًا من قيوده، واستغن عن المنام وعن الشهوة، فإذا استغنيته فقد تحرّرت، وقديمًا قيل: "استغن عن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره".


إنك إذا استغنيته عن كل ذلك صرت حرًّا طليقًا؛ وإذن رمضان شهر الحرية، وإذا استغنيته عن ذلك تقلص ظل المادة، وأشرق نور الروح؛ وإذن رمضان شهر الروحانية، وإذا استغنيته عن ذلك صقًا فكرك، وتجلى سلطان نفسك؛ فكنت إنسانيًا بكل معنى الكلمة؛ وإذن رمضان شهر الإنسانية، وإذا استغنيته عن ذلك لم يجد الشيطان سبيلا إليك، ولم تلق نوارع الشر مطمئًا فيك؛ وإذن رمضان شهر الخير الواضح المستنير.

مرحبًا بك يا شهر الخير، مرحبًا بك يا شهر الإنسانية الكاملة، مرحبًا بك يا شهر الروحانية الفاضلة، مرحبًا بك يا شهر الحرية الصحيحة، مرحبًا بك يا شهر رمضان.

أقبل أقبيل، وأقم طويلًا في هذه الأمة الطيبة المسكينة، وألق عليها درسًا من هذه الدروس البليغة، ولا تفارقها حتى تزكي أرواحها، وتصقّي نفوسها، وتصلح أخلاقها، وتجدد حياتها، وتقيم موازين التقدير فيها؛ فتعلم أن المطامع أساس الاستعباد، وأن الشهوات قيود الأسر، وأن أساس الحرية الاستغناء، وأن الاستغناء يستتبع المشقة، ولكنها مشقة عذبة لذيذة؛ لأنها تنتج الحرية، والحرية أحلى من الحياة.

-----

\* نشر في إخوان أون لابن بتاريخ 20 سبتمبر 2007 نقلًا عن مجلة الإخوان المسلمين- السنة الأولى- العدد 23- ص: 1-3- 4 رمضان 1352هـ/ 21 ديسمبر 1933م.

 <https://www.ikhwanonline.com/article/236136>